الأنباء
الجمعة 13 يوليو 2012

محاولة فاشلة لاغتيال الزعامة العربية

● بقلم: صالح الشايجي
katebkom@gmail.com

ماذا كتب الزعيم الاشتراكي على باب مكتبه؟

التواضع..صفة لا يعرفها الزعماء الشعبيون..

الزعماء الشعبيون.. بحاجة إلى علاج نفسي..

كيف ينظر الزعماء إلى جماهيرهم؟

وكيف تنظر الجماهير إلى زعمائها؟

التواضع ـ لا بد من إيراده ـ قبل أن تعلو سفينتنا في أعماق بحار الكلمة ونحن نبحث في معنى التواضع ـ وهو على كل الأحوال تعريف حديث ـ حيث صرنا في عصرنا الحديث نصف قليل الحيلة وواهن الحجة والركيك في بيانه والشحيح في معلوماته.. نصفه بأنه «متواضع».. والقصد انه ـ فيما هو عليه ـ متواضع من الناحية العلمية والعملية.. وليس متواضعا في صفاته الأخلاقية الشخصية.. أي أن تواضعه سلبي وليس تواضعا إيجابيا.

□□□

نجد البعض ممن يطلق عليهم قيادات سياسية او زعماء وطنيين أو حتى من الشخصيات العامة التي تخدم في قطاعات جماهيرية أو تولت مناصب قيادية..يبالغون في تصنيف أنفسهم كثيرا في توهّم ما قدموه للشعب وللوطن ومدى الخدمات الجليلة التي أسدوها لأوطانهم.. ولكن الأوطان ـ حسب زعمهم ـ خانتهم وطعنتهم وتخلت عنهم ولم تسدد لهم شيئا ولو يسيرا من جمائل وفضائل أسدوها لتلك الأوطان..

وأرى أن مثل هؤلاء الناس قد افتروا.. وبقروا بطن الحقيقة.. وعاكسوا الواقع.. ولا أرى فيهم إلا الأنانية والغرور ومجافاة التواضع كفضيلة إيجابية.. وتتركز فيهما الأنانية والغرور بدرجة بالغة العلو..

وأرى فيهم مجافاة وصدودا عن الحقيقة..

وهؤلاء يمشون عكس التواضع..ويسلكون سلوكا غير إنساني..يمنّون على أوطانهم ومجتمعاتهم وأناسهم..وهم الذين حين كانوا في مواقعهم القيادية ومناصبهم الرفيعة.. يختالون بين الناس كالطواويس الفارغة المزهوة بجمال ألوان ريشها..ولا شيء غير ذلك تملكه لتتباهى به..

عجرفة وصلف وغرور وتعال..وفراغ من الداخل..

طبّول جوفاء.. ولكنها ذات صخب ورنين..يصمّان أذن القاصي والداني..وهي الفارغة الجوفاء..ولولا سوط العصا لجلدها الميت لما كان حتى لفراغها وجود أو شنشنة أو طنطنة..

□□□

نجد مثل هذه الفئة البشرية المنحطة أكثر ما نجدها في حقول السياسة العربية وعند الزعامات الشعبية والتي يتحلق حولها الناس ويهتفون لها ويمجّدونها..

وعجبت في إحدى السنوات حين كنت في زيارة لمقر أحد الأحزاب اليسارية العربية..وأنا أقرأ لافتة عُلّقت على باب السيد الأمين العام للحزب اليساري الاشتراكي الثوري..وقد كتب عليها ـ على تلك اللافتة ـ عبارة مفادها أنه لا يمكن الدخول على السيد الأمين العام الثوري الاشتراكي إلا بعد مراجعة السكرتيرة!

فإذا كان هذا هو حال الحزب الشعبي اليساري الاشتراكي.. فكيف الحال إذن بالأحزاب اليمينية والأحزاب الرأسمالية.. وأحزاب الصفوة والنخبة والتي لم تعتل متون العمال والفلاحين والكادحين والفقراء والمساكين.. ولم تدّع تمثيلها لهم.. ولم تزعم أنها تعمل لأجلهم.. مثلما تدعي تلك الأحزاب الاشتراكية الثورية اليسارية التي جاءت من أجل الكادحين والفقراء..والصفر الوجوه من العوز والجوع والحاجة..

□□□

وعرفنا هنا في الكويت..مثل تلك الزعامات الثورية والقيادية التي تدّعي القرب من البسطاء من الناس وتبيعهم الحكي الرخيص المرشوش بالسكر المغشوش.. وتعلو أصواتها مجلجلة مدوّية ترجّ الأسماع رجّا.. وتضج في القلوب ضجّا.. مدّعية حرصها على مصالح الناس والشعب والمهمّشين.. ولكنها في حقيقتها وفي باطنها.. متعالية متكبرة مغرورة.. لا تحب الناس ولا تدنو منهم إلا عند حاجتها لهم ولتستخدمهم كوقود لحربها ولتجييشهم للدفاع عن بقائها على رأس الزعامة الخاوية المنخورة..

وتلك النوعية من الزعامات هي الأخطر على البلد التي تكون فيه..لأنها أدمنت الزعامة والتزعم وقيادة الناس ولا ترى لها وجودا إلا في مثل هذه الصورة المخادعة.. لذلك لا يهمها لا مصير الوطن ولا مصائر الناس الذين يؤمنون بها ويصدّقون مزاعمها ولم يفطنوا إلى أغراضها الشخصية الدنيئة والمدمّرة..

وحبّ الزعامة إدمان وينطوي على أنانية فردية مدمرة للمجتمع تستعبد الناس البسطاء وتذلهم وتنزع عنهم كرامتهم الإنسانية وتستعملهم كقطعان يتبعونها أينما حلت وحيثما رحلت..

والجماهير ـ مع الأسف ـ قوامها ناس مغيّبون تخلّوا عن عقولهم وعن قدراتهم على الفحص والتمييز والتقدير وانساقوا وراء صراخ أولئك الزعماء أو محبي الزعامة وارتضوا أن يكونوا حطبا في نيرانهم المشتعلة على الدوام..

والغريب أنه لو انطلق صوت عاقل ذو ضمير.. ليوعي تلك الجماهير ويسترد لها كرامتها.. لثارت تلك الجماهير ضده ووصمته بعار التخاذل والخور والضعف وربما الخيانة..

□□□

ما أسهل أن تقود الناس وتصير زعيما.. إذا ما تخليت عن ضميرك الإنساني وبعت نفسك للشيطان وسعيت تبني ممالك لك على حساب الدهماء والعامة والبسطاء..

والغريب أن هؤلاء الزعماء أو القادة أو محبي الزعامة يدركون أنهم يغشّون أتباعهم ويصنفونهم على انهم سهلو الانقياد والتبعية ويسهل التحكم بهم ولا ينظرون إليهم باحترام..

ولكن ـ ومع الأسف ـ فإن نظرة تلك الجماهير أو الأتباع لزعمائهم وقياديهم عكس ذلك تماما تصل أحيانا إلى حد التقديس.. وقد يصل بهم الأمر إلى التعدّي على من يتجرّأ وينتقد زعماءهم..

وكم شاهدنا في بعض المحاورات التلفزيونية.. أو الندوات كيف تنتهي تلك اللقاءات بمعارك وتشابك بالأيدي والشتائم البذيئة لأن أحد المتحاورين تجرا وانتقد زعيم الطرف الآخر!

□□□

إنها مهزلة بل محيط مهازل.. يسبح فيه العقل العربي الذي لم تُهيّأ له فرصة بناء حقيقي تمكنه من الفرز والفحص والتقييم الواعي والصحيح..بما يساعده على احترام ذاته وتحصينها من الانقياد والتبعية والمذلة..

□□□

ولست ـ وبما كتبت ـ قادرا على هدم ممالك أولئك الزعماء والقادة الفاسدين والمضللين والمستعبدين الناس ـ وإن كنت أتمنى ذلك ـ ولست ـ أيضا ـ قادرا على تغيير أفكار تلك الجماهير المصفقة في مواكب الزعماء والتي استرخصت ذواتها وجعلتها رهن يد الزعيم وتحت إشارته.. لأنني أدرك أن تغيير قناعات الناس وإقامة بناء جديد لشخصياتهم..

وجعلها شخصيات متحررة حرة لا تابعة ولا منقادة..أمر يصعب على من هو مثلي قليل الحيلة والتأثير والوصول إلى الناس.. ولأنني أدرك أن مثل هذا الأمر الحميد لا يقوم على جهد فردي..حتى لو جاء من شخصية ذات وزن اجتماعي أو ثقافي أو علمي.. بل هو عمل مؤسسي طويل المدى..كالحقل الذي نبدأ بنبش تربته اليوم.. ونقوم بإصلاح أرضه حتى يحين القطاف بعد سنوات..

إنها ثقافة جديدة لابد من غرسها في عقول الناشئة والصغار حتى نجنبهم الانقياد والتبعية وترخيص الذات.. ونزرع في نفوسهم الإباء وعلوّ النفس والحرص على كراماتهم.. وتعزيز الشخصية المستقلة التواقة للحرية والرافضة الاستعباد والاسترقاق وتقديس الآخر والهوان في سبيله.

ولكن أكتب ما أكتب لا بهدف التغيير..فلا أنا أعوّل على أن أحدا من أولئك الزعماء..سيقرأ هذا المكتوب.. وستهتز فرائصه.. وترتعد ركبتاه.. وترتعش شفتاه.. وتسكب عيناه دمع الندم.. ويلبس على الفور جلباب التوبة النصوح..معترفا بذنوبه متطهرا منها..

هيهات أن أفكر بذلك أو أهدف إليه وأنا أرى ساحات صناعة الزعماء «سداح مداح»..«براحات» وعَرَصات مفتوحة لكل عابر سبيل ليجرب حظه من الزعامة.. فقد يصيب منها شلوا أو شأوا أو شيئا.. و«لكل مجتهد ـ من الزعامة ـ نصيب»..

□□□

لست مجنونا كي أفكر بمثل هذا الخبل..

ولست أهذي هذيان المحموم..

ولا تطيش أحلامي طيش أحلام الشباب المجنّحة بصاحبها فوق الجوزاء..

بل كتبت.. لأعلن ذاتي لذاتي.. ولأقدّم شهادة أقرؤها وحدي.. وأزيّن بها.. صدري..وأباهي بها نفسي!

ذلك ـ لا جلّ ـ بل كل ما ابتغيت.. ولعلني بلغت هدفي.. ولسوف أسأل ذاتي إن كنت قد بلغته!

حين تنام الزهرة

نامي..
أحبك أن تنامي..
زهرة فوق صدري..
أو راعية في عشب أحلامي..

□□□

نامي..
نوم الفراشة..
في كف الوردة..
نوم الندى..
تحت نجمة الصبح..
نامي..

□□□

نامي..
نوم راهبة الدير..
تحت ظلال الصليب.
في ليل صامت الأجراس..
نامي..

□□□

نامي..
بين جفنيّ..
تحرسك عيناي..
تريان أحلامك..
وترئين فيهما أحلامي..
نامي..

□□□

زعامة..لكل عابر سبيل

ليس من فضيلة بشرية تعادل فضيلة التواضع..

هي الفضيلة الأسمى..

هي الأرقى وهي الفضيلة الأمثل بين الفضائل التي عرفتها البشرية منذ فجر تاريخها..

فضيلة تسمو بنقائها وطهرها.. على فضائل الصدق والكرم والشجاعة.. وما إلى ذلك من الفضائل التي عرفتها البشرية على مر تاريخها..

□□□

ولا أظن أن الثقافة البشرية استطاعت أن تتوصل إلى تعريف دقيق لمعنى فضيلة التواضع..حتى باتت هذه الكلمة (التواضع)..كلمة مطّاطة لا هوية محددة لها..

ولا أزعم أنني ـ هنا ـ سآتي بما لم تستطعه الأوائل.. وسأقوم بتعريف معنى التواضع.. ولكنني سأجتهد في حقل شاسع مترامي الأطراف غير محدود المساحة..لا يمنع كل حامل فأس.. أن يُعمل في أرضه فأسه ويضرب تربتها وينقيها..ليبذر بذره فيها..أو يغرس نبتة فيها ويروح يرعاها حتى إذا ما كبرت وفاءت ظلالها.. جلس يغني في فيئها موّاله عن فضيلة التواضع..

□□□

والتعريف العربي العام والذي اتفق عليه العرب منذ عصور شتى لمعنى التواضع.. هو الإنسان غير المتعالي الذي لا يمشي على الأرض مختالا.. ولا يحس أنه يخرقها ولا أنه يبلغ الجبال طولا..

المبتسم في وجوه الناس.. وكأنه يوزع الصدقات عليهم..

الذي يفشي السلام على كل من تراه عيناه..والذي يراه الناس مجالسا للفقراء وهو العظيم ذو المال والجاه..

ولا شك أن تلك الشخصيات التي تتحلى بهذه الصفات هي حقا شخصيات متواضعة ولا خلاف في ذلك ولا عليه ولا حوله..وقد يصدق تعريف تلك الشخصيات أو وصفها بالمتواضعة.

□□□

وثمة استخدام سلبي لصفة